مصر ؟ فاذا كلفتنا المراجع المسؤولة على شيء لا يستطيع الجيش اللبناني القيام به فماذا يكون موقفنا ؟ اقول هذا بالنسبة الى الجيش اللبناني » . فالتفت جميل مردم الى فؤاد شهاب واجابه بمنطق القيادات العربية التي اضاعت فلسطين : « يا جماعة ما هي مسألة رفع عتب » . وعلق القاوقجي على هذا الجواب بقوله : « وكانت المؤتمرات كلها من قبل ومن بعد ـ كما بدا لي ـ رفع عتب » (٣٤) .

وفي ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ ، وبينما كانت القوات الصهيونية تحاول احتلال بعض القرى اللبنانية الحدودية مثل ميس الجبل والحولة ، اذ بفؤاد شهاب يأمر بسحب الجيش اللبناني المرابط في المالكية على ان يحل محله فوج من المتطوعين يمثلون نصف القوة النظامية . وقد حاول قائد جيش الانقاذ اقناع القيادات اللبنانية بعدم سحب الجيش اللبناني ولكن دون طائل : الأمر الذي اضطر جيش الانقاذ للبقاء منفرداً في شمالي فلسطين متعرضا للقصف الصهيوني دون ان يلقى اية مساعدة في هذه الفترة سواء من الجيش اللبناني او السوري .

وبالفعل ، فان الرئيس بشارة الخوري اعترف بهذا الواقع وتخوف من استمرار الهجوم الاسرائيلي على جنوب لبنان ، لا سيما ان طائرة اسرائيلية حلقت فوق بيروت في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ والقت مناشير تهديد ضد لبنان وباستعمال وسائل العنف فيما اذا شمل برعايته جيش الانقاذ . كما اعترف فؤاد شهاب نفسه مؤكداً ما سبق ان اكده فوزي القاوقجي من « انه اذا استمر الهجوم على مواقع جيش الانقاذ ـ وهو نقطة الارتباط بين سورية ولبنان ـ فيخشى ان يلقى الجيش اللبناني صدمات صهيونية عنيفة » .

وفي ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ ابلغ المقدم شوكت شقير القائد فوزي القاوقجي رغبة القيادة اللبنانية الملحة في التخلي عن المالكية وبليدة تجنباً للقتال على الحدود اللبنانية . وبالفعل اضطر القاوقجي للتخلي عن هذه المواقع ، ثم تمركزت قواته على خط رميش ـ مارون الرأس ـ عيترون ، وابلغ وزير الدفاع السوري بهذه التطورات . غير ان حسني الزعيم امر بدوره بسحب القوات السورية من الجبهة الحدودية دون علم القاوقجي بهذا الأمر . ويعلق القاوقجي على الموقفين اللبناني والسوري والموقف العربي عامة ، بأن مثل هذه المواقف ادت الى فشل الدول العربية في حرب فلسطين .

ويلاحظ ان الانهزامات العربية وسوء الاوضاع العربية جعلت موضوع الهدنة الدائمة مع اسرائيل قيد البحث . وقد ذكر الرئيس بشارة الخوري ان سرقواز وكيل الوسيط الدولي ، اقترح عليه عقد هدنة مع اسرائيل وحصر المفاوضة بالعسكريين دون تدخل وزارة الخارجية ، فوافق الرئيس على ذلك . وبعد ان علمت اسرائيل ان لبنان على استعداد لاجراء مشاورات مباشرة معها ، قام موسى شرتوك ، وزير الخارجية الاسرائيلية ، برحلة الى مياه بيروت على متن باخرة اميركية ، الهدف منها اجراء مباحثات مع المسؤولين اللبنانيين ، غير ان بشارة الخوري امر القيادة العسكرية اللبنانية باخراج الباخرة من المياه اللبنانية .

ومن الملاحظ ان رياض الصلح الذي كان يطالب ، باستمرار ، بمقاتلة الاسرائيليين بات يصرح ، بعد عودته من باريس والقاهرة ، تصريحات لم يعهدها الناس منه من قبل ، كقوله :